

غرائب الاحلام

ان رأيت في الاحلام معروف وهو انها كلها هواجس واضغاث غير منتظمة ان صدق شيء منها فمن قبيح الاتفاق . والذين يدعون انهم حلوا احلاماً صححت تماماً لو كتبوا ما حلوا به وقابلوا بينه وبين ما يحدث لوجدوا بينهما بوناً شامساً لا يصح معه ان يقال ان ما حدث دلّ الحلم عليه . ولكن من الناس من يبقّي الحلم في ذهنه صورة غير واضحة فاذا حدث له حادث يئنه وبين الحلم اقل علاقة عادت صورة الحلم الى ذهنه على شكل جديد منطبق على ما حدث ولو بعض الانطباق فيجب ان ما تصوّره في اليقظة هو نفس الحلم الذي حل به في المنام

وقد اطلعت الان على مقالة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها طريق الاحلام بقلم لادي كروي زوجة لورد كروي الذي كان سفيراً لانكلترا في الامتانة وهي من اشهر الكتابات باللغة الانكليزية وابلغهن . وظاهر الامر انها تصدق بعض الاحلام او بعض ما يجيء فيها ولعلها لو تحررت كتابة كل حلم كما كتبت الحلم الاخير من الاحلام التالية لوجدتها كلها اضغاثاً ثقل عن ظنون اليقظة صححة . وهذه خلاصة مقالاتها

من الاحلام ما يؤثر في نفس الحالم تأثيراً خصوصياً يشعره باهميتها وانها ليست مثل بقية الاحلام التي يحلمها وهي لا يمكن ان يكون سببها تلبك المعدة باكل المأكول الفليظة ككثير من الاحلام التي تنشأ عن التخمّة . ومنها ما ينبيء بمجرات تجري في المستقبل كما جرى لي في الحادثة الآتية التي ان لم يكن ما تم فيها ضرباً من الانباء بالنسب بل مجرد صدفة واتفاق فهي صدفة اغرب من النبوءة وانجب

فقد حلت ذات يوم اني دعيت لحضور وليمة وانا بعد صغيرة السن بصحبة شيخ بال احنت الايام ظهره وهو يتوكأ على عصاه . وفي اليوم التالي دعيت لحضور وليمة وكان شاب قد عين ليرافقني الى المائدة فلما ابطأ جاهاوا لي بشيخ بال احنت الايام ظهره وهو يتوكأ على عصاه ليرافقني اليها بدلاً من الشاب فجزعت في بادئ الامر لمراه ولا سيما لانطباقه على الحلم وكنتي سررت بصحبه بعد ذلك وقصصت حلي عليه ثم استطردت في الحديث الى الاحلام وغرائبها فاعتذر عن ظهوره لي في الحلم على غير قصد منه وقال ان هذا شأن الاحلام فانها تأتي علي ضد ما يشتهي صاحبها ويريد وأنه لما كان صغير السن كانت احلامه معلومة بالغاظر فلما صار كهلاً لم يكذب يحلم بشيء او اذا حل لم يتذكر ما يحلمه وهو الآن شيخ فان كثير الاحلام ومعظم احلامه عن ايام طفولته وصباه وما كان يجري له في تلك الايام

وقد عرفت لورنس اولفنت وهو ممن اشتهر باحلامه الكثيرة ودقة شعوره فقال لي انه لا يعرف سبب الاحلام النبوية وخصوصاً في الاحوال التي لا علاقة البتة فيها بين الحالم والمعلوم به ثم قص علي احلاماً كثيرة من هذا القبيل اذكر منها القصة الآتية وهي انه كان نائماً في منزله بعد عودته من اليابان ولم يكن بعد قد اتبع تعاليم هرس الاميركي^(١). فحلم انه رأى رجلاً غريباً وافقاً بجانب فراشه ينظر اليه كأنما يستغيث يداء يطلب منه قضاء ليلته له. فقال في نفسه وهو على تلك الحال ترى ما هي العلامة التي استطيع تمييز هذا الرجل بها اذا رأيت في حال اليقظة ثم حدق اليه فلم ير في اول الامر ما يميزه تمييزاً خصوصياً عن غيره ولكنه رأى بعد طول التفكر فيه ان في وسط جبينه ثقباً كبيراً مستتراً تحت شعر ناصيته كأنه جرح معول والدم يقطر منه وعند ذلك أفاق من نومه بفتة ومضت سنة تعرف في غضونهما بهرس المذكور وقبل تعاليمه وتبعه هو وتعاونون تليذاً من اتباعه الى غايته من غابات اميركا حيث انقطعوا الى درس مذهبه وهم يعملون عن هذا العالم وغروره وفي ذات يوم ركب اولفنت جواده وخرج للتنزه فلقى جماعة من الفعلة الانكليز يصلحون الطريق المحاذية للغابة حيث كان هرس واتباعه متيمين فانفرد رجل عنهم وتفرس في وجه اولفنت طويلاً كأنه يعرفه ولكنه لم ينبس بينت شفة فلحظ اولفنت انه هو الرجل الذي رآه في منامه منذ سنة. فسأله عما اذا كان قد رأى في جبينه أثراً للبرج الذي رآه فيها وهو قائم. فأجاب كلاً ولكن تميلي قليلاً فسكت وانتظرت

وكان الفعلة يستعدون للذهاب الى حانوت قريب من ذلك المكان ليستريحوا فيها فقرأ رأي اولفنت على موافاتهم الى ذلك المكان بعد ساعة ليستقصي امر الرجل ولكنه لما وصل علم ان الرجل تخاضع هو واخر من رفاته فضربه ريقه فعمل في جبينه نقط الى الارض مثباً عليه ونقلوه الى غرفة اولفنت لانه كان مشهوراً عندهم بالطب والعرافة ولكنه مات بين يديه ومات معه من الحلم الذي حلمه اولفنت ان كان له من

وماك حادثة من هذا القبيل جرت معي. وهي اني كنت ليلة من ليالي نوفمبر المكفهره نائمة واذا بي اراني في شارع ضيق وسماه الفقر يسمو وكان الضباب كثيفاً حتى خيل لي انه

(١) احد مشاهير المصلين الاجتماعيين ولد في انكلترا سنة ١٨٢٣. ولكن اباه ماجر الى اميركا وعمره اربع سنوات وهو صاحب طريفة دينية معروفة باسم "اخوية الحياة الجديدة" واتباعها ينجرون النوراة ويحلون قدر الزواج ويقال ان له شعر التي نفس من الاتباع وهم منتشرون في انحاء العالم ومنهم لورنس اولفنت المذكور في هذه القصة وزوجته

شارع من شوارع لندن وكنت راكبة مركبة فوقفت لي امام باب منزل من احقر منازل الشارع وكان معي سرور جمت بها لغرض معلوم . ففتح الباب فرأيت خلفه امرأة لابسة ثبعة قدرة ترتجف كأنها مصابة بالبرداء . وكان المرء مبطناً ضيقاً يتتحي الى دار صغيرة وقد مد فيها حبل نشرت عليه ملابس كأنها اطوار بالية وفي ارضها تقع من المياه القدرة تشم منيما رائحة الصابون فأخذتني الاشمزاز والنفور مأخذها . وبينما انا على تلك الحال سمعت صوتاً كأنه صوت حفر في الارض وصوت صدمات ثقيلة عند قدمي فالتفت الى غرفة عن يميني فرأيت رجلين من الذين يكنتون الموتى قد انحنيا فوق شيء اسود مستطيل وكانا يحجراته . فحولت وجهي الى المرأة التي فتحت لي الباب وسألتها عن ذنبك الرجلين فلم تجب بكلمة بل ضحكت ضحكة استهزاء فأمنت النظر في وجهها فرأيت مشوهة الخلقه قبيحاً وزاد استبحاجي لها لما رأيتها ذات لحية وصوت يشبه صوت الرجال الا انها لابسة ملابس النساء . فذعرت من منظرها وقلت في نفسي اني افضل ان اكون مع المكنتين اشاهد ما يفعلان على ان اكون واقفة مع هذه المرأة ففررت الى الغرفة المذكورة واغلقت بابها وراني

غير اني لم ارا احداً فيها مع اني رأيت للكفتين يدخلانها وكان كل ما رأيت سجادة بالية عليها رسوم ورق الكرب وعدة كراسي ومقعد محوك من شعر الخليل . وللغرفة شباك كان مشرفان على الشارع مكران وستائرهما اشبه بالشباك لا تدفع نوراً ولا تبي برداً . ثم اطلت على الشارع فقلت في نفسي ما اجمع هذه المناظر التي اراها وما اشد سوادها فان النفس تنقبض منها والصدر يضيق لروبتها ثم مررت جندية من الحرس لاساً ملابس الحراء ومرت بازائه فتاة لابسة ملابس زاهية فابرت اسرتي وسرتي عني لاني لم اعد اراني منقطعة عن العالم وانا في تلك الغرفة المدلحة

هذه نهاية حلي وقد انقضى وترك في تخيلتي اثرًا سيبًا ثم حدث لي ما يشبهه وتفصيل ذلك انه لم يكذب على الخالم شهر حتى رأيتني في لندن في يوم اظلمت سماؤه وتكاثفت ضبابه واقفة امام باب المنزل الذي رايتني في لندن في يوم اظلمت سماؤه وكان معي سلال وصرر تحوي على طعام ولباس لفقيرة بائسة تسكن المنزل وهي لتقلب على فراش المرض وكانت هذه اول مرة في عمري خرجت فيها لمثل تلك الهمة فلا يمكن ان يكون حلي تذكر الحادثة تشبهها لانها كانت فريدة في بابها ولما فتح الباب نكص الشخص الذي فتحه الى الوراء وانزوى خلفه ليستر سمته التبيجة المشوهة وكان ملتحباً وعلى رأسه قبة قدرة تشبه ما رايتني في الحلم وكذلك كل ما رايتني في الدار لا يخالف بشيء عما رايتني في ساني

وبينا انا مندحضة مما يجري درت الى الميخنة لادخل الغرفة التي في الطبقة السفلى واذا بالمرأة - ان صحت نسيها امرأة - اشارت الي ان اتبعها ثم صعدت امامي على درج ضيق يؤدي الى الطبقة العليا . وهذا هو الامر الوحيد الذي يختلف عما رأيت في منامي واما سائر ما شاهدته فكان ينطق على الحلم كل الانطباق . فاني رأيت سجادا عليها الرسم الذي رأيت في الحلم ومقعدا مصنوعا من شعر الخيل الى آخر ما هنالك . ولما التفت الى النباكين رأيتهما مكسرين ومصطحين على نحو ما رأيت في حلمي . ثم اشرفت منهما على الشارع فرأيت جنديا من الحرس وفتاتين ساترتين معه

اما المرأة التي جئت لمساعدتها فلها قصة طويلة ملخصها ان امها توفيت فتزوج ابوها امرأة قست عليها فهربت من بيت ابيها تخلصا من الجور وعمرها خمس عشرة سنة فتجاعت وأغرقت بالبغيض تخلصا من الجوع اولاً ثم لكي تقيت طفلها الى ان توفي . وكان يسكنها حينئذ رجل شرير سكير التهم كل ما كتبت آتيا به من الطعام وحاول ثلاث مرات ان يسلبني ما معي كما علمت بعدئذ ولم تكن نجاتي منه الا بوصولي اليها قبل الميعاد المضروب اوبعدده . ومن الغريب ان حلمي لم يلم البتة به ولا اشار اليه باشارة انذار تداركا لشرو على اهمية علاقته بالقصة على ان الامور الطفيفة التي لا يعا بها مثل رائحة الهواد وحقارة المنزل والشخص الذي فتح الباب والجندي الذي مر في الشارع والرسم المرسوم على البساط تطابقت كلها في اليقظة والمنام

وهذا حلم آخر قصة علي احد اقاربي وكان عند رؤيته له جنديا في بورما فقال انه حلم ذات ليلة انه يشم رائحة كريهة كما ينبعث من جثة غريق طال عليها البقاه في الماء . ثم رأى اياه تحت الماء ومنظره كمنظر الاموات فاستيقظ من نومه وكتب تاريخ يوم الحلم وساعده . وعلم بعد ذلك ان اياه وعمله وسقى السفن في احد موانئ ايرلندا كان يقود حصانا جموحا حذاء الرصيف فدفعه الحصان الى الماء فغرق وكان الوقت مساء فلم يعثروا على جسده حتى بقيت مدة في الماء . وظهر لابنوه ان اياه غرق في اليم الذي رأى الحلم فيه وفي الساعة نفسها

ويقال ان من الاحلام ما ينبي بعكس ما يراه الحالم كأن تحلم ان رجلا اعطاك بصلة فتأتيك هدية خاتم من الماس او تحلم انك ماش عاريا في مكان عمومي فتكون النتيجة انك تدعى الى حفلة رقص فليس فيها انغر ملابسك . وهاك قصة من هذا القبيل فقصتها على سيدة تركية ايام كنت في الاستانة . وهي انها حلمت انها رأت ابنها وقد كان ملازما في الجيش مكثرف اليدين ثم سيق الى ساحة امام السكنة التي تقيم فرقتة فيها وأعدم ريبا بالرصاص فجذعت لذلك الحلم لانها لم تعرف بما تأوله وخافت ان يكون نذيرا بسوء يصيب ابنها في المستقبل

فقصت ما رأتها على اهل بيتها صباح اليوم التالي ولكنها لم نقل انها حملت بابنها بل وضعت شخصاً آخر موضعه وذلك لانه كان قد حضر بالاجازة حديثاً بغفان ان يورث حملها تأثيراً سبباً فيه . والشخص الذي احلته بحله ضابط شاب من ضبط فرقتي . ثم لبست بشمكتها وذهبت الى عرفان لمااورته في الامر فقصت عليه حملها ولم تذكر شيئاً عن ابنها بل وضعت الضابط رفيقه موضعه . فسّر العرفان حملها بما حملها على الاضمان من نحو ابنها قائلاً انه من الاحلام التي تنبئ بمكس ما سيجري وان صدر الضابط سيجئ بالنياشين بدلآمن ان توثق بداهة بالحبال كما رأت في منامها . وان اخذه الى ساحة الككنة يعني ترقية الى رتبة قائد لفرقتي فلما سمعت المرأة بهذا التعبير سرت مروراً لا يزيد عليه ونهضت واقفة على قدميها ونادت باعلى صوتها قائلة للعرفان " ولكني لم احلم بالضابط رفيق ابني ولا يهمني امر ترقية بل حملت بابني نفسه " فاجابها العرفان بصوت خافت ولكن لماذا خدعيني انك ستجدين جزاء جهلك لان النياشين التي كانت معدة لابنك ميدانها رفيقه ولا قوة في الارض تستطيع ان تحرمه اياها

وكانت النتيجة ان الضابط المذكور نال النياشين كما قال العرفان وحرمها ابنها وهذه قصة اخرى عن امرأة حملت حملاً منزوعاً رأت ملاك الموت فيه امامها وخلفها " مشتمراً الاردان للبيض " وشعرت بحرق انقاسه وشاهدت عظام هيكله فتشاءمت بذلك وظننت انها لا تعيش كثيراً بعد ولكنها عمرت طويلاً وعاشت عيشة حنية وتجرب اخبير ابي دعبت في صباي لقضاء عيدي الميلاد وراس السنة في منزل بداخلة البلاد فصحبني اليه سيدة ذات جمال ودلال . وكان المنزل غاصاً بالمدعويين والمدعوات من الشبان والشابات ولم يكن بينهم سوى نفر من المتقدمين في السن يعدون على الاصابع . وفي مساء آخر ايام السنة اجتمعنا للسهرة ولعبنا العاباً كثيرة من حملتها لعبة للتكهن بما سيجري لكل منا في المستقبل . وعند انقضاء السهرة وقفت رفيقي وصاحت بفتة كمن ضبط عليه وحى او الهام قائلة ليعتمد كل منا ان ما يحلعه هذه الليلة يتم له في السنة القادمة . واعلموا انه لا يجوز لأحد ان يكتف شيئاً من حلمه بل يجب ان يقصه علينا حرقاً حرقاً في صباح الغد ونحرق على المائدة . فانفتحتنا على ذلك ثم تفرقتنا للنوم وصاحبتي تكاد " تروع مهابة وتذوب ظرفاً " وتطير مما بها من خفة الروح ورشاقة القدر ولطافة المنصر ورقة المزاج

ولكن ما اصبح اليوم التالي حتى خرجت من غرفتها ضئيلة تدور على عينيها الجليتين هالتيان سوداوان ويلوح للناظر اليها انها اكبر مما كانت عليه بمشرنين . وقد لاح لنا من منظر عينيها

انها كانت مستغرقة في البكاء . وكانت عصية المزاج دقيقة الشعور حتى اعتقد كل منّا انه ان هبط الوحي على احد منّا في تلك الليلة فعليها او كشف ضمير من ضمائر الغيب فلها . فلما ظهرت لنا بذلك المظهر خشنا ان يكون الالهام قد جاءها بما لا تحب لنفسها ولا نحب نحن لما ولما رأيناها على تلك الحال لم نشأ ان نسألها عن السبب ولكننا اخذنا في قص احلامنا بعضنا على بعض آمين انه اذا جاءها الدور باحت لنا بغريب امرها . وهكذا كان فانه لما قص كل منا حمله ولم يبق غيرها شرعت في الكلام بعبارات منقطعة وحدثنا بما رأيت في نومها اجابة لطلبها فأصغينا اليها بأشد الانتباه . وعند ما فرغت من الكلام اقترح بعضهم ان تكتب حلمنا فتطبع عدة نسخ منه وتوزع على اصحابها . فامتثلت لما اقترح عليها وطبعت عدة نسخ من حلمنا فاعطيت نسخة منها لها هو نص الحلم على ما ورد فيها بلسان صاحبه قالت : —

”حلمت اني في حديقة عمومية من مدينة لا اعرفها وكان الزمن صيفاً . وكنت لابسة ثوباً ابيض يجير اذياله على الارض . فلما اشتد الحر طلبت ظلاً اتقياه واذا بصوت ارغن قد قرع سمعي فالتفت الى الشارع القريب من الحديقة فرأيت كنيسة كبيرة والناس يهرعون اليها فقصديتها ودخلتها في من دخلها فشرعت يبرد كاد يصل الى قلبي فقلت في نفسي اني اجلس قرب الباب حتى اذا اشتد بي البرد خرجت ولم يشعر احد بجزوعي . ولم يكن قربي احد فجلست على مقعد هناك اصغى الى ترتيل الوهيان وترنيهم . وبينما انا اقلب اجفاني في الكنيسة والنور ضعيف قليل رأيت ان كل ما هناك من السائر والملابس اسود اللون وعلمت ان اللحن الذي يلعب به على الارغن لحن حزن . فقلت لا بد ان تكون الحفلة حفلة جنازة والميت رجلاً ذا شهرة

وبينما ان افكر في من عسى ان يكون ذلك الميت شعرت يجري هواء بارد قد لطم كتفي اليسرى ثم اضاء المكان فعلمت ان السائر المسدول على الباب قد أزعج ولكنني دهشت من برودة مجرى الهواء الذي اصاب كتفي على حين ان الحر شديد في الخارج فالتفت واذا بي ارى شيئاً يدخل الكنيسة على عجل وتبينته فاذا هو شيخ عزرائيل ملاك الموت ورأيت عظام القسم الاعلى من هيكله ولم ازل ما بقي منه لما حال بيني وبينه من السائر والسجوف . وكان ماسكاً يديه قوساً وسهاماً محددة الرؤوس فلما رأيت نزع في القوس ثم صوب الي سهماً ورماني به فقلت من امامي فاخطأني واصاب السهم جانب المقعد الذي كنت جالسة عليه . ثم سار في سبيله مهولاً وهو يتزعج بالسهم ذات الجبين وذات اليسار حتى غاب عن الابصار بعد ما صار الهواء الذي في اثره بارداً كالجلد فاصابني منه نفخة شعرت بقرها وقرها

فدعرت لما رأيت وحمدت الله على السلامة ثم نهضت من مجسني وخرجت من الكنيسة حيث دخل عزرائيل تجنباً له وحذر الالتقاء به فلما صرت الى الخارج شعرت بجموح الهواء . فتمشيت في المقبرة وانا لا اكد اسم اديم الارض بنعلي من خفة الوطء وثوبي ليحس ذيله ورائي . فجعلت اقف امام بعض القبور ربنا اقرأ ما عليها من الكتابات وكان معظمها باللاتينية فلم انهم منه الا القليل . وما زلت كذلك حتى وصلت الى قبر حفر حديثاً فدنوت منه ونظرت الى قعر الحفرة وقلت في نفسي لعله قبر الميت الذي يجنونه في الكنيسة . ثم ددرت لاجراء من المقبرة وادخل الحديقة العمومية ثانية فاشعرت الا وذيل ثوبي قد علق بشي على الارض فانحيت لأجرده بما علق به فاطبقت اصابعي على رأس سهم مثل الذي نجوت منه وانا في الكنيسة واذا بي اراه قد غرز في ثوبي والصقته الى حافة القبر كما بمسار . فالتفت الى جهة الكنيسة واذا عزرائيل واقف خلف ضريح منصوب على احد القبور وفي يده قوسه وهو مكشوف عن اسنانه وعلي وجهه سباه الانتصار . وحينئذ اشتد صوت الارغن وعلت نغبات لحن الحزن الذي كانوا يلعبونه عليه حتى خيل لي ان الارض كادت تميد بي وتمور فصحت صيحة شديدة وافقت من نومي . ومضت هنيئة من الزمن قبلما ادركت انني كنت في حلم . وما زال صدري نيباً ونفسي متقبضة الى الآن

والحق يقال ان فاتحة السنة الجديدة كانت فاتحة شؤم ونحس عليها . فاشار اصداؤها عليها بالانهماك في حفلات لندن تلية لانكارها فافادها ذلك اولاً ثم عادت اليها سوداؤها فكانت تكثر التردد الى الكنيسة ولم تكن تأسكل سوى الزر اليسير . ولم تنزل تقم وتهزل حتى ظن الذين لم يعرفوا شيئاً من دخيلة مراها انها مصابة بمرض عضال . واشتد بها الهزال على مر الايام حتى باتت ادق من العود وارق من الخيال فكثبت كتب وداع واعدت هدايا تذكارية لغو خمسين نساء . من اصداقتها وكانت تنوي ارسالها اليهم حتى تصلهم في صباح اليوم الاول من السنة الجديدة التي ظنت ان شمسها لا تشرق عليها وهي في قيد الحياة ولم يمض على ذلك اسبوع حتى اخذت شعرا ن حالها تحسن وزرتها حينئذ فقرأتها تنزع طوابع البريد التي كانت قد الصقتها على الكتب ورزم الهدايا وهي جذلة مسرورة كما كنت اراها في ايام صباها . وكان كل ما رآته في نومها وتخيبت سوء عقابه اضغاث احلام وغربا من الاوهام

فهذا خبر حلم كامل التفصيل مسرود الحوادث مر على ذهن امرأة شديدة التأثير فكان حديث خرافة لاشبه فيه للحقيقة . ولكن هذه هي طريق الاحلام انتهى